**الدراسات المسحية :**

البحوث المسحية من أقدم الطرق المستخدمة في البحث, ويندرج تحت هذا النوع عدد من مناهج البحث التي تشترك في هدف واحد هو الحصول على معلومات من مجموعة من الافراد بشكل مباشر. حيث يلجأ الباحث في هذا النوع الى توجيه مجموعة من الأسئلة الى مجموعة من الافراد يطلق عليهم المستجيبين, والاداة المستخدمة في الحصول على البيانات في البحوث المسحية هي غالباً الاستبيان أو المقابلة . إلا أن استخدام الاستبيان والمقابلة لا يشكل في حد ذاته بحثاً مسحياً , لأن هاتين الأداتين لا تعرفان البحث المسحي , ولكن اسلوب استخدامهما هو الذي يحدد البحوث المسحية. ويستخدم المنهج المسحي على نطاق واسع في علم الاجتماع , وادارة الاعمال, والعلم والسياسة, وعلم الاقتصاد, بالإضافة الى التربية وعلم النفس, ولقد زاد في السنوات الاخيرة عدد الموضوعات التي تغطيها البحوث المسحية , كما تعددت أساليب البحث التي تستخدمها حتى أنه لا يمضي اسبوع من دون أن نسمع أو نقرأ في المجلات العلمية نتائج بحث أو أكثر من البحوث المسحية.

وتتضمن البحوث المسحية الحصول على المعلومات بشكل مباشر من المشاركين في البحث عن طريق طرح مجموعة من الاسئلة, وقد توجه هذه الاسئلة مكتوبة أو شفوية, في وقت واحد, ويعطي الفرد الاستجابة عند طرح السؤال, وعلى هذا يمكن القول أن هناك تعاوناً بين المستجيب والباحث في جمع المعلومات المطلوبة, إلا أن الباحث يسال والمشارك يعطي الاجابة, ولذلك فأن هناك تفاعلا بين المستجيب والباحث, حتى وأن كأنت الاسئلة تقدم مكتوبة, إلا أن عملية التفاعل تكون اكثر وضوحا عند تقديم الاسئلة شفويا ,كما هو الحال في المقابلات . وتحلل بيانات البحوث المسحية وفقا لأهداف البحث .

ورغم أن الاستبيانات والمقابلات قد تكون جزءا من أي مشروع من مشاريع البحث , الا أن حجم العينة يساعد في تمييز البحوث المسحية عن غيرها من مناهج البحث . فحجم العينة في البحوث المسحية كبيرة بوجه عام , الا أنه من الصعب تحديد مدى معين لحجم العينة . فقد يتراوح حجم العينة من 100 الى عدد قد يزيد على 100 مليون , كما هو الحال في تعداد السكان .

وبالطبع فأن الحصول على معلومات من مجموعة المشاركين بشكل مباشر أكثر فاعلية لبعض أغراض البحث منه بالنسبة لأغراض اخرى, والبحوث المسحية اكثر ملاءمة للبحوث التي تعرض للوصف والتنبؤ , وأن كأنت تستخدم أحيانا لأغراض الاستطلاع , لكنها تكون في هذه الحالة اقل فاعلية . ونظرا لأننا لا نعالج المتغيرات في البحوث المسحية , لا يمكن القيام بالبحوث المسحية بغرض تحقيق علاقات العلة والمعلول .

والوصف هو اكثر اغراض البحوث المسحية , وافضل الامثلة على ذلك تعداد الذي يتم في العراق كل عشر سنوات , والذي يشمل جميع افراد المجتمع , وأن كأنت العينة تستخدم أحيانا في القيام بالتعداد, ويستخدم بعض الباحثين بيانات التعداد كأساس لتحديد عينات البحوث التي يقومون بها , وبخاصة عندما يرغبون في الحصول على عينة ممثلة للمحافظات, كلها أو بعضها, في العراق وتعتبر الامتحانات التي يجريها المدرس في الفصل صورة مصغرة من البحوث المسحية , فعن طريق الاستبيان , يطلق عليه في هذه الحالة امتحان , يقوم المدرس بالحصول على معلومات عن مستوى التحصيلي للتلاميذ في مادته . الا أن الامتحانات تفتقر الى عنصر هام على الاقل من عناصر البحث العلمي , وهو التقرير النهائي عن البحث والذي ينشر على المجتمع بإحدى طرق النشر .

ورغم أن البحوث المسحية تستخدم الاستبيان أو المقابلة الا أن البحوث المسحية اكثر من مجرد توجيه مجموعه من الاسئلة . والقاعدة الأولى في البحوث المسحية هو معرفة نوع البيانات التي يريد الباحث الحصول عليها , ولذلك يجب القيام بالبحوث المسحية في ضوء مجموعة من الاهداف يريد البحث تحقيقها . ولذلك يتطلب الحث المسحي الجيد وقتا وجهدا كافيين لا خراج البحث في صورة سليمة .

وتعد البحوث المسحية من وسائل تحقيق البحوث العلمية . فاذا كأن الغرض من البحث العلمي هو تغيير أراء مجموعة كبيرة من الناس , فأن البحوث المسيحية وسيلة جيدة لتحقيق هذا الغرض . ويصف باك(1980)الدور المهم للبحوث المسحية في برنامج بحثي مكثف لتوجيه الناس , فقد استخدم المنهج المسحي في تقويم مدى فاعلية الحملات الاعلامية التي تهدف الى تغيير اتجاهات الناس نحو تنظيم النسل . الا أن استخدام الملاحظة المنظمة . أي القياس غير المباشر , افضل في حالة البحوث العملية بشكل عام من البحوث المسحية . ففي دراسة ضبط النسل مثلا فأن الحصول على معلومات عن معدل الميلاد هو افضل وسيلة لتقويم مدى فاعلية هذا البرنامج في منطقة من المناطق . ويمكن أن يساعد المنهج المسحي في ابراز بعض العوامل التي أدت الى التغيير , ولكن البحوث المسحية نفسها ليست وسيلة فاعلية لقياس التغير ذاته .

وبشكل عام يفضل استخدام البحوث المسحية كأساس للحصول على البيانات التي يمكن التعبير عنها في صورة تكرارات , وبمعنى آخر , فأننا نستخدم البحوث المسحية عندما نرغب في معرفة معلومات الناس حول موضوع معين دون معرفة سبب تفكيرهم في هذه المعلومات .

**بيانات البحوث المسحية :**هناك ثلاثة أنواع من البيانات التي نحصل عليها من المشاركين في البحث المسحي هي :

1. الحقائق .
2. الآراء .
3. السلوك .

ورغم أن معظم البحوث المسحية تتضمن الأنواع الثلاثة , إلا أننا سوف نناقش كل نوع على حدة , لأن لكل منها معنى فيها يتعلق بالبحوث المسحية .

والحقيقة ظاهرة أو خاصية تتوافر لأي فرد مادام يعرف كيف يلاحظها, وكثيرا ما يطلق على الحقيقة خاصية اجتماعية أو بشرية عندما تتعلق بمتغيرات مثل النوع أو الدخل أو عدد سنوات التعليم والحقائق هي أي شيء يمكن التحقق منه بشكل مستقل موضوعي .

والرأي تعبيرا عن تفضيلات المستجيب أو مشاعره أو مقاصده السلوكية ويمكن قياس الآراء بشكل موضوعي, فقد أعبر عن رأي معين يتضمن قصدا للقيام بعمل ما, ولكن لا يوجد وسيلة للتحقق فعلا من أنني سوف اقوم بما ذكرت أو أنني اعتنق هذا الرأي , الا اذا قمت بهذا العمل فعلا.

والفرق الرئيس بين الحقيقة والرأي هو أن الحقيقة تعبر عن شيء ملموس يمكن التحقق منه اجرائيا , فمثلا اذا أردنا التحقق اجرائيا من عمر شخص ما فأننا ننظر الى تاريخ ميلاده في شهادة الميلاد , ونحسب عمره بطريقة لا يمكن الاختلاف عليها. أما الرأي فيعبر عما يعتقده فيه الشخص أو يشعر به أو يومن به , وهي امور نسبية تختلف من شخص لأخر , فمثلا قد لأنتفق على القول أن جلوسي أمام الحاسب الآلي واستخدامي لمعالج الكلمات في كتابة هذا الكتاب هو تعريف اجرائي لمقاصدي من الانتهاء من تأليف كتاب في مناهج البحث, ومع هذا فأن عدم الاجماع على تعريف اجرائي للراي لا يعني بالضرورة أن الحقائق أكثر صدقا من الآراء في وضع التعريفات الاجرائية لأنه يمكن التحقق من صدق الرأي بأساليب احصائية متعددة .

والنوع الثالث من البيانات المتعلق بالبحوث المسحية , هو السلوك الذي يشير الى فعل أو عمل قام به المستجيب , ومن الاسئلة المتعلقة بالسلوك :" ما عدد المرات التي زرت فيها المكتبة هذا الاسبوع ؟" ولا يمكن التحقق من هذا السلوك كما هو الحال في الحقائق إلا بملاحظة هذا السلوك ملاحظة مباشرة , وبدون هذه الملاحظة المباشرة يصبح السلوك مثله مثل الرأي , غير قابل لتحقيق صدقه.

وبالرغم من أن الآراء تحتوي على عنصر سلوكي , إلا أن هناك فرقا بينهما, فالرأي يتضمن مقصداً, والسلوك يتضمن فعلاً . مثال ذلك السؤال : "ما عدد المرات التي تنوي فيها زيارة المكتبة في الاسبوع المقبل؟" ونحن في هذه الحالة نسأل عن مقاصد أو نوايا الفرد وليس عن سلوكه الفعلي أي نسأل عن. اما عندما نسال عن : كم مره ذهبت الى المكتبة في الاسبوع الماضي ؟" فنحن نسال عن سلوك الفرد , ولا نسال عن رايه .

والسلوك مثل الحقائق تعتمد على التقارير الذاتية في التحقق من صدقه , إذا لم يتوفر لدينا وسيلة موضوعية مستقلة للتحقق من ذلك , الا أن التقارير الذاتية لا تكون دقيقة في التحقق من صدق السلوك .وهناك دائما في أي نظام تصنيفي بعض الأشياء التي لا ينطبق عليها التصنيف . والمعلومات واحدة من هذه الأشياء, فعندما يقيس اساتذة الجامعة مثلا المعلومات فأنهم يستخدمون اختبارات معينة . وقد يقوم بعض الباحثين بقياس المعلومات في مجال تخصصهم . الا أنه من الصعب القول أن المعلومات والحقائق شيء واحد . فلا بد من أن نحدد ما اذا كأنت المعلومات التي لدينا حقائق أم سلوكاً أم رأياً حتى نقوم بتحليلها, ولحسم هذه المشكلة يجب أن نحدد كيف ننظر الى هذه المعلومات . فدرجة الاختبار مثلا لأنه يمكن تحقيقها يمكن اعتبارها حقيقة , اما اذا نظرنا الى المعلومات على أنها تذكر الطالب لشي ما , يمكننا أن نعتبرها هذه المعلومات سلوكا , وفي هذه الحالة هذه المعلومات كتعريف اجرائي لسلوك التذكر , اما اذا كأنت المعلومات رأيا ( الاعتقاد بأهمية معلومات معينة), فأنها تعرف في هذه الحالة على أنها رأي ويجب تحليلها في هذا الاطار, ويكمن حل هذه المشكلة بتحديد غرض الباحث : فاذا كأن يستخدم المعلومات التي لديه كتعريف اجرائي لسلوك ما , وجب عليه أن يتعامل مع هذا المتغير كما يتعامل مع أي مقياس للسلوك .

ونظرا لأن معظم البحوث المسحية تحتوي على الأنواع الثلاثة , الحقيقة والرأي والسلوك , يميل الباحثون الى تجاهل التمييز بينهما , الا أن هذا التجاهل قد يسبب أخطاء في البحث , وبخاصة اذا كأن الامر يتطلب تحديد أولوية محتوى معين على المحتويات الاخرى .